تفسيرُ نُشوءِ الأضدادِ اللغويَّة

على وَفقِ قانونِ (وَحْدَةِ الأضدادِ و صِراعِها)

عَرضٌ و نَقد

م. د. كيان أحمد حازم يحيى

قسم اللغة العربيّة / كلّيَّة الآداب / جامعة بغداد

مُلَخَّصُ البَحث

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

حاولَ بعضُ المُحْدَثِينَ تعليلَ ظاهرةِ الأضدادِ اللغويّةِ ، وهي أن يوجَدَ لفظٌ واحدٌ يدلّ على معنًى مّا و ضدِّهِ في الوقتِ نفسِهِ ؛ فمِن تعليلاتِهم ما استَنَدَ إلى معطَياتٍ من كلامِ القدماءِ ، و منها ما اشتُقَّ من بِنًى فكريّةٍ و نظريّاتٍ حديثةٍ .

و مِن هذا الصِّنفِ الأخيرِ مِن التّعليلاتِ تعليلُ الأستاذِ الدكتورِ محمّد حسين آل ياسين الذي قارَبَ الرؤيةَ الديالكتيكيّةَ في تفسيرِ نشوءِ الأضدادِ اللغويّةِ ؛ إذ طبَّقَ قانونَ وحدةِ الأضدادِ و صِراعِها على لفظةِ (الجَوْن) التي كانت تعني أوّلَ الأمرِ السَّوادَ ، و كانَ ذلك بدايةً لصراعِ النقيضَيْنِ الضِّدَيْنِ في وعي المتكلّم . و بفعلِ هذا الصراعِ تغلبُ البياضُ على السوادِ تدريجيا ، و ربّما يكونُ مصداقُ ذلك أنّ (الجَوْن) أُطلِقَ على الشيءِ الذي اختلطَ فيه السوادُ و البياضُ قبلَ أن يصلَ الصراعُ إلى شكلِهِ النهائيِّ و هو البياضُ ، إلاّ أنّ التدوينَ المبكّرَ احتفظ لنا بالمعنَيَيْنِ ، و صارت لفظة (الجَوْن) من الأضداد .

و لتقويمِ هذا التعليلِ لا بدَّ مِن معرفةِ ما انتهى إليه الديالكتيك من تطوُّرٍ على أيدي الماركسيّينَ ؛ فهو قائمٌ – عندَهم – على قوانينَ ثلاثةٍ هي سرُّ فاعليّتِه ، أوَّلُها : قانونُ وحدةِ الأضدادِ و صراعِها ، و مفادُهُ انطواءُ كلِّ شيءٍ على ضدَّيْنِ لا بدَّ من أن ينشأ صراعٌ بينهما لا يَقضي على وحدةِ الشيءِ ، و لكنّه يؤدّي إلى أن يتغلّبَ الطرفُ الذي يعبِّرُ عن التقدُّم على الطرفِ الآخَرِ عندَ ذلك يحدثُ التحوُّلُ الذي يُفَسِّرُهُ القانونُ الثاني و هو قانونُ تحوّلِ الكمِّ إلى الكيفِ ، ينصُّ على أنّ التغيُّرَ يتمُّ أوّلاً بالتدريج ، و لكن عندما يصل الزيادة أو النقصان إلى حدٍّ معيَّنٍ يحدُثُ معه تغيُّرٌ كيفيٌّ ثمَّ يأتي القانونُ الثالثُ قانونُ نفي النفي (أو سَلب السلب) الذي ينصُّ على ثلاثةِ أمورٍ ، أوّلُها استمرارُ التغيُّرِ . و ثانيها : الاحتفاظُ بأفضل خصائص القديم و الامتيازُ بخصائصَ لم تَكُن . و ثالثُها : السَّيرُ باطّرادٍ ، بل بشكلٍ دائريٍّ ، بحيثُ يرتدُّ نفيُ النفي إلى أُطروحتِهِ الأولى و لكن بشكلٍ أفضل .

و ليسوا أقلّ ديالكتيك الثلاثةُ بمنأًى عن النقدِ ؛ فأمّا القانونُ الأوّلُ فيُناقَشُ بأنّ الطبيعة البشريّة لا يمكن ان تقبل بالسلبِ و الإيجابِ معًا ، فهي تشعرُ ذاتيًا بالتعارض المطلق بينهما. أمّا القانونُ الثاني فيُنكرُهُ كثيرٌ من الفلاسفة ؛ لأنّ وفقَهُ الكَمِّ تنقسمُ على قسمَيْن ، أوّلُهُما الكَمُّ المنفصلُ ، و هو مقولٌ على الأشياءِ التي لا تجمعُ بينَها حدودٌ مشتركة ، و الآخَرُ هو الكَمُّ المتّصلُ ، و هو مقولٌ على ما يَجمعُ بينَ أجزائه حدودٌ مشتركةٌ .فأمّا الكمّ المنفصلُ فلا يُبدِعُ أيَّةَ كيفيّةٍ و أمّا الكمُّ المتّصلُ فالكيفيّةُ من عوارضِه الملازمة له ، و هذه الكيفيّة قد تنتهي أخيرًا بقفزةٍ تنتقلُ بسببها من نوعٍ إلى آخَرَ ، أو لا تنتهي بأيّةِ قفزةٍ فالقولُ بأنّ الكمَّ يتحوّلُ إلى كيفٍ ، صحيح إذا كان كمّا متصلا .و أمّا القانونُ الثالثُ فيكفي لدحضِه العلمُ بأنّ أقطابَ المادّيّةِ الجدليّةِ جميعًا يُنكرونَ العلّةَ الغائيّةَ في الطبيعةِ ، و لكنّهم يذهبونَ في ربطِ حركاتِ المادّةِ و تطوّرها بالغايةِ مذهبًا يُقيمونَها فيه مقامَ الوعي الإنسانيِّ في أرقى نشاطاتِه .

فما دامَتْ قوانينُ الديالكتيك الثلاثةُ لا تصمدُ أمامَ النَّقدِ فلن يَسلَمَ ما استندَ إليها من تعليلٍ لنشوءِ الأضدادِ اللغويّةِ.ممّا يُلاحَظُ أنّ الأستاذ الدكتور آل ياسين صرّحَ بأنّ اتّحادَ النقيضَيْن في مثال (الجَوْن) إنّما هو في وعي المتكلّم ، و معلومٌ أنّ الجدليّةَ المادّيّةَ الماركسيّةَ - التي أقامَتْ فلسفتَها على اساس معاندةِ سابقتِها المثاليّةِ -قد نفَتْ نفيًا قاطعًا التدخّلَ الخارجيَّ لأيّةِ ، ووَقَفَتْ على المادّةِ مُعَوِّلةً عليها وحدَها بوصفِها موطنًا للوحدةِ و الصراعِ بينَ الأضدادِ .

و لمّا كانَ حديثُنا عن الأضدادِ و صراعِها مُفْرَزًا من مُفرَزاتِ المادّيّةِ الديالكتيكيّةِ لا سابقتِها المادّيّةِ المثاليّةِ ، كانَ القولُ بأنّ مسرحَ الوحدةِ و الصراعِ بينَ النقيضَيْن هو العقلُ غيرَ منسجمٍ و مُعطَياتِ هذه النظريّة .ثُمَّ إنّنا لا نملكُ دليلاً على أنّ لفظةَ (الجَوْن) أُطلِقَتْ أوّلاً على السوادِ وحدَهُ ، ثمّ على السوادِ و البياض معًا ، ثمّ على البياض وحدَهُ.و واضحٌ كذلك أنّ من الصعبِ إثباتَ أفضليّةِ لما يَنتجُ من ارتدادِ نفي النفي المتعلّق بلفظةِ (الجَوْن) إلى أطروحتِها الأولى ؛ إذ إنّ الأمرَ يَؤُولُ بنا إلى فكرةِ السوادِ نفسِها التي بدأنا منها ، و ليس ثمّةَ تكاملٌ لدائرةٍ أخرى هي أعلى من مستوى الدائرةِ التي كانت قبلها .

و أقربُ توصيفٍ – عندي- لتفسيرِ الأستاذِ الدكتور آل ياسين هو أنّه تلفيقٌ بينَ التفسيرِ الديالكتيكيِّ بشِقَّيْهِ المثاليِّ والمادّيِّ ، و ما يُمكنُ تسميتُهُ (تداعي النقيض في الذّهن) الذي كانَ الأستاذُ الدكتور قد أشارَ إليه في موضعٍ آخَرَ من كتابِه بوصفِه أحدَ التفاسيرِ المُعتمَدَةِ لنشوءِ الأضدادِ اللغويّةِ .

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

الأضدادُ اللغويّةُ ظاهرةٌ غريبةٌ ، فالذهنُ يُنكرُها للوهلةِ الأولى و يأبى أن يُصدِّقَ بِوجودِ لفظٍ واحدٍ يدلّ على معنًى و ضدِّهِ ، غيرَ أنّ هذا لم يَمنعْ أن يؤمنَ بها جماعاتٌ من القدماءِ ، و قلّةٌ من المُحْدَثين الذين حاولوا تعليلَ هذه الظاهرة الغريبة تعليلاتٍ مختلفةً ، منها ما يستندُ إلى معطَياتٍ من كلام القدماءِ ، و منها ما اشتُقَّ من بِنًى فكريّةٍ و نظريّاتٍ حديثةٍ يتجاوزُ بعضُها نطاقَ اللغةِ ليفَسِّرَ عدداً آخرَ من ظواهر الكون أو ليفسِّرَها جميعاً.

و الأضدادُ جمعُ (ضِدّ) قالَ أبو حاتمٍ السجستانيّ (ت ٢٥٥هـ) : ((ضِدّ الشيءِ خِلافُهُ و غيرُهُ. قالَ أبو حاتمٍ: تمَتَعَت العربُ على أنّ ضِدّ الشيءِ مِثْلُهُ و شِبْهُهُ و عِدْلُهُ ، و لا أعلمُهُم اختلفوا في ذلك. قالَ أبو حاتمٍ: قومٌ أنّ بعضَ العربِ يجعلُ الضدَّ مثلَ الندِّ...و لا اعرفُ أنا ذلكَ. فالمعروفُ في الضدِّ في كلام العربِ فخِلافُ الشيءِ ، كما يُقالُ :الإيمانُ ضدّ الكفر ، و العقلُ ضدّ الحُمق...)) [٢] و يُفهَمُ من كلام أبي حاتمٍ أنّ لفظة (الضدّ) نفسَها قد عَدّها نَفَرٌ من العربِ من (الأضدادِ) أي أنّها تدلّ على الشيءِ و خلافِهِ معًا ، و هذا ممّا لم يتوقفْ عندَهُ الكثيرُ ممّن صنّفَ في هذه الظاهرةِ ، و أحسبُ أنّ له أثراً في فهم الظاهرةِ و تفسيرها .

● **مصدر التفسير الديالكتيكيّ [٣] للأضداد اللغويّة :**

لم أرَ قبلَ الأستاذِ الدكتور محمّد حسين آل ياسين مَن قارَبَ الرؤية الديالكتيكيّة في تفسير نشوءِ الأضدادِ اللغويّةِ ، و يبدو أنّ أحداً لم يلتفتْ إليها من بعدِهِ أيضاً ، فيُشبعَها تأمّلاً و بحثاً .

و ملخَّصُ ما جاءَ به الأستاذ الدكتور آل ياسين هو أنّه رأى في المبدإ المادّيِّ الديالكتيكيِّ إمكاناً لتفسيرٍ جديدٍ لنشوءِ الأضدادِ اللغويةِ ؛ إذ إن كل ضد سبب في عد ضدهِ ضدا ، وكل منهما علّة وجودِ الآخَر ، فلولا الشجاعة ما كانَ للجبن معنًى ، و لولا البياضُ ما فهمنا معنى السوادِ و من هذا الترابط الأساسيِّ بينَ الضدَّيْن صحَّ أن يُقالَ إنّهما متّصلان صلة وثيقة تجعلهما يوجدانِ معاً في كيانٍ واحد . و يقوّي هذه الصلة انَ كلا من المتضادين يتحوّل تدريجيا بفعل عواملَ معيَّنةٍ إلى ضدِّهِ فيكونُهُ ، و هذه الخاصَّة الجوهريّة في الضدَّيْن هي ما يُسمّى (وحدة المتضادّات) و لمّا كانَ الضدّان موجودَيْن في الشيء الواحد ، فإنّه يحدُثُ بينهما صراع دائمٌ ؛ لانَ كلا منهما يجسَد ميلا ما : الإيجابيّة أو السلبيّة .و ينطبعُ الصراعُ في مراحلِهِ الأولى بطابع (فارق) فقط ، ثمّ يتحوّل الفارقُ إلى (تضاد) أي إلى تناقضٍ أكثرَ تطوّراً ، و ذلك عندَما تعمدُ كلُّ ناحيةٍ من نواحي التناقض إلى نفي الناحيةِ الأخرى بحدَّةٍ ، و هذه هي الخاصَّة الجوهريّة الأخرى في الضدَّيْن ، و هي ما يُسمّى (صراع المتضادّات) . و اللغة –

بوصفِها ظاهرةً من ظواهرِ المجتمع ، و مظهراً من مظاهرِ الوعي و العلاقاتِ الجدليّةِ بينَ أفرادِه يمكنُ أن تخضعَ لهذا القانون خضوعَ الظواهرِ الموضوعيّةِ الأخرى .

و طبَّقَ الدكتور آل ياسين هذا القانونَ على لفظةِ (الجَوْن) إذ كانت تعني أوّلَ الأمر السّواد ، و كانَ ذلك بدايةَ لصراعِ النقيضَيْنِ المُتحِدَيْنِ في وعي المتكلم ؛ لانَ كلا منهما علة وجودِ الآخَرِ و يَنزعُ إلى نقيضِه . و بفعلِ هذا الصراع تغلبَ البياضَ على السوادِ تدريجيا ، و ربّما يكونُ مصداق ذلك أنّ (الجَوْ (أُطلِقَ على الشيءِ الذي اختلطَ فيه السوادُ و البياضُ قبلَ أن يصلَ الصراعُ إلى شكلِه النهائيِّ و هو البياضُ ، إلاّ أنّ التدوينَ المبكِّرَ احتفظ لنا بالمعنَيَيْن، و صارت لفظة (الجَوْن) من الأضداد [٤] و أرى أنّه لا بُدَّ من التعريفِ بقانون (وحدة الأضدادِ و صراعها)حيثُ أصلُهُ ، و تطوّرُهُ التأريخيُّ ، و انتهاؤُهُ إلى ما انتهى إليه في الفلسفةِ المادِّيَّةِ الجدليَّة (الديالكتيكيّة) لنتمكَّنَ من الحكم بعلميّةٍ و بدقّةٍ على إمكان تفسير نشوءِ الأضدادِ على أساسِه ؛ إذ إنّ الحكمَ على الشيءِ فرعٌ عن تصوُّرِه .

تعريفٌ بالمادِّيَّةِ الجدَليّةِ أو الديالكتيكيّة :

المادِّيَّةُ الجدَليّةُ أو الديالكتيكيّةُ منظومةٌ فلسفيّةٌ كبيرةٌ لمتخرجْ عن الموضوع الرئيس الذي شغلَ جميعَ الفلسفاتِ ، و هو علاقة الفكر بالوجود أو (المادّة) [٥] .

و الديالكتيك dialectiqeكلمةٌ يونانيّةٌ ، اشتقاقُها الأصليّ من (ديالوغ dialogue) بمعنى مُحادَثة ، أو مجادَلة ، أو مُجاذَبة أطراف الكلام [٦] . و يذكرالزعيمُ الشيوعيُّ المعروفُ ستالين أنّ الكلمة كانَت تعني عند الأوائل الوصولَ إلى الحقيقةِ باكتشافِ التناقضاتِ التي يتضمَّنُها استدلالُ الخصم ، و التغلُّبِ عليها [٧] .

و استعمِلت الكلمة مصطلحا علميا لاوّل مرّةٍ في اواسطِ الالفِ الاوّل قبل الميْلادِ ، و كانَ الفيلسوفُ الإغريقيّ هيرقليط (٦ ق.م) أبرز مَن أسهمَ في إيجادِه و ربْطِه بالمعنى المهمِّ الذي لاحظهُ في الطبيعةِ كلِّها ، و هو أنّ كلَّ شيءٍ يتغيّرُ يجري و يتطوّرُ من حالٍ إلى أخرى فهو في حالةِ صيرورةٍ مستمرّةٍ في ضمن ذاتِه [٨] .

لمّا ظهرَ الفيلسوفُ الألمانيّ جورج هيغل (ت ١٨٣١م) بَعَثَ مفهومَ الديالكتيك بعثًا جديدًا و تقومُ فلسفتُه على مبادئَ ثلاثةٍ أطلقَ عليها : الدعوى (أو الأطروحة) thesis ، و يُمثِّلُها (العقل المطلق) ؛ و مقابل الدعوى anti-thesis أو النفي negation ، و يُمثِّلُها (العقل المقيَّد) و الجامع بينَ الدعوى و نفيهاsynthesis أو نفي النفي negation of negation، و يُمثِّلُها (العقل المجرد) [٩] .

اعتمدَ هيغل على مبدإ النقيض في بناءِ مذهبِه ؛ فالشيءُ يحتوي على نقيضِه ، ثمّ يصيران –أي الشيءُ و نقيضُهُ– ما يجمعُ بينَهما ، و هكذا في صدُورٍ متعاقبةٍ بينَ الكائن و نقيضِه في دوراتٍ متعاقبةٍ لا حصرَ لها ، لأنّ جامعَ الدعوى و نفيها ليسَ آخرَ مرحلةٍ في الوجودِ ، بل هو نفسُهُ خاضعٌ لقانون النقيض ، إذ يتحوّلُ نقيضُهُ إلى منافسٍ له ، ثمّ يجتمعان في جامعٍ جديدٍ ، و هكذا [١٠] .

ثمّ تطوّرَت الجدليّة الهيغليّة تطوّراً سريعاً على أيدي ثلاثةِ فلاسفةٍ يُعَدّونَ بُناةَ الأسُس الاعتقاديّة للفلسفةِ الماركسيّةِ ، أوّلُهُم كارل ماركس (ت ١٨٨٣م) ، و ثانيهم فريدريك إنغلز (ت١٨٩٥م) ، وثالثهم فلاديمير لينين (ت ١٩٢٤م)إن كانَ دورُ الأخير تطويراً أكثرَ منه اشتراكاً في الوضع و البناءِ [١١] .

و إذا كانَت الأشياءُ في صيرورتِها الخارجيّةِ انعكاساً لما في العقل عندَ هيغل ، فإنّ ما يجري في العقل ليسَ إلاّ انعكاساً لصيرورةِ الأشياءِ في الخارج عندَ ماركس و رفاقِه [١٢] .

و انطلاقاً ممّا سبقَ رأت الماركسيّة أنّ جدلَ الأطروحةِ و نفيها و نفي نفيها لا يتمُّ بينَ الفكر و المادّةِ كما قرّرَ هيغل ، بل يتمُّ في ضمن المادّةِ ذاتِها دونَ أيِّ عاملٍ خارجيٍّ من فكرٍ أو غيره ، و أنّ ذلك وحدَهُ هو سرُّ تطوُّرِ الكون و الموجوداتِ المختلفةِ التي لا تعدو أن تكونَ من ثمراتِ المادّةِ تطوُّرٌ مستمرٌّ يسيرُ باتّجاهٍ دائريٍّ ، و لكن لا على معنى أنّه تكريرٌ لحركةٍ دائريّةٍ في ضمن خطٍّ لا يتبدَّلُ ، بل هو سَيْرٌ لولبيٌّ يكرِّرُ الدائرة نفسَها كلَّ مرّةٍ ، و لكن على صعيدٍ أعلى مما قبلَه فمن هذه الرحلةِ الدائريّةِ المتصاعدةِ يتحقَّقُ التغيُّرُ و التطوُّرُ الدائمان في العالم [١٣] .

ما سَبَقَ كانَ خلاصة ما انتهى إليه الديالكتيك من تطوُّرٍ على أيدي الماركسيّينَ غيرَ أنّه قائمٌ – عندَهم على قوانينَ ثلاثةٍ هي سرُّ فاعليّتِه ،و هذه القوانينُ هي :

١ قانون وحدةِ الأضدادِ و صراعِها :

و بيان هذا القانون ان كل شيءٍ ينطوي على ضدين ، سواءَ اكانَ هذا الشيءَ طبيعيا ام ظاهرةً اجتماعيّة و هذان الطرفان المتضادّان لا يمكنُ أن يبقيا في سلامٍ ، إذ لا بدَّ من أن ينشأ صراعٌ بينهما ، و هذا الصراعُ لا يَقضي على وحدةِ الشيءِ ، و لكنّه يؤدّي إلى أن يتغلَّبَ الطرَفُ الذي يعبِّرُ عن التقدُّم على الطرفِ الآخَر ، و عندَ ذلك يحدثُ التحوُّلُ [١٤] . و عندَما نريدُ أن نتبيَّنَ كيفيّة هذا التحوُّل يأتي القانون الثاني ليتكفَّلَ بالبيان .

٢قانونُ تحوُّل الكمِّ إلى كيف :

هدفُ هذا القانون هو الكشفُ عن كيفيّةِ التحوُّل ، و بيانُ أنّ التغيُّرَ يتمُّ أوّلاً بالتدريج ، و لكنّ الزيادة أو النقصان عندما يصل أحدُهما إلى حدٍّ معيَّنٍ يحدُثُ معه تغيُّرٌ كيفيٌّ ، بمعنى أنّ طابعه الأساسيّ يتغيّرُ و يصيرُ شيئًا آخَرَ (١٥) .

٣ .قانونُ نفي النفي (أو سَلب السلب) :

هذا القانونَ هو المَعْنِيُّ بالتركيبِ الذي يأتي بعدَ كلٍّ من الأطروحةِ و النفي و يمتازُ - بحسب ما ترى الماركسيّة بثلاثةِ أمورٍ ، أولُها الاستمرارُ الذي لا تَوَقُّفَ له . و ثانيها : عدمُ القضاءِ على عناصر القديمِ كلِّها الصالح منها و الطالح ، و إنّما يحتفظ بأفضل خصائص القديم و يمتازُ عليه بخصائصَ لم تَكُن . و ثالثُها عدمُ السَّيرِ سَيراً مستقيماً مطّردًا ، أي بدفعٍ ميكانيكيٍّ ، بل بشكلٍ دائريٍّ ، بحيثُ يرتدُّ نفيُ النفي إلى أطروحتِهِ الأولى و لكن بشكلٍ أغنى و أفضل (١٦) .

● **مناقشة القوانين الثلاثة للديالكتيك :**

حينَما أقصى الديالكتيك من فلسفتِه مفهومَ المبدإ الأوّل و استبعدَ السببَ الخارجيَّ ، وجدَ نفسَهُ مضطرّا إلى إعطاءِ تفسيرٍ للتغيّر الدائم في عالم المادّة، و هو أنّ المادّة نفسَها تنطوي على التموين المستمرِّ للحركةِ ، و لكن كيفَ تملكُ المادّة هذا التموينَ ؟ تجيبُ الماديّةُ الديالكتيكيّة عن هذا السؤال الجوهريِّ بأنّ المادّة وحدةُ أضدادٍ و مجتمَعُ نقائضَ ، فمن الطبيعيِّ أن يقومَ بينَها صراعٌ لكسبِ رفاقِمه و ينبثقُ التطوُّرُ و التغيُّرُ عن هذا الصراع ، فتُحَقِّقُ الطبيعة مراحلَ تكاملِها عن هذا الطريق و على هذا الأساس أنكرَت الماركسيّة مبدأ عدم التناقض و عَدَّتْهُ من خصائص التفكير الميتافيزيقيِّ ، و افترضَت التناقضَ – عوضًا منه – قانونًا عامّا للطبيعةِ و الوجودِ (١٧) .

و الطريفُ أنّ الماركسيّة بهذا الإنكار و الافتراض تُطبِّقُ مبدأ عدم التناقض من حيثُ لا تشعرُ ؛ فإنّ الجدليَّ حينَ يُؤمنُ بالتناقضاتِ الجدليّة و بالتفسير الديالكتيكيِّ للطبيعة ، يجدُ نفسَهُ مضطرا إلى رفض مبدإ عدم التناقض و التفسير الميتافيزيقيِّ لها ، و من الواضح أنّ هذا ليسَ إلا لانّ الطبيعة البشريّة لا يمكنَ ان تقبل بالسلبِ و الإيجابِ معًا ، فهي تشعرُ ذاتيًا بالتعارض المطلق بينهما ، و إلاّ فلماذا رفضت الماركسيّة مبدأ عدم التناقض ؟ ، أليسَ ذلك لأنّها آمنَتْ تناقضَها ، و لا يسعُها أن تؤمنَ بعدمِه ما دامَتْ آمنَتْ بوجودِه ؟. فعدم التناقض مبدأ أساسيّ لم يتجرّدُ منه التفكيرُ البشريُّ ، حتّى في لحظة التحمّس للديالكتيك (١٨) .

أمّا قانونُ تحوُّل الكَمِّ إلى كيفٍ فيُنكِرُهُ كثيرٌ من الفلاسفة الذينَ ينعتُهُمالماركسيّونَ بالبرجوازيّين الحقُّ أنّ الأمرَ به حاجةٌ إلى شيءٍ من البسطِ و التفصيل ؛ فمقولةُ الكَمِّ تنقسمُ

على قسمَيْن ، أوّلُهما الكمُّ المنفصلُ ، و هو مقولٌ على الأشياءِ التي لا تجمعُ بينَها حدودٌ مشتركة ، و الآخَرُ هو الكمُّ المتّصِلُ ، و هو مقولٌ على كلِّ ما يَجمعُ بينَ أجزائهِ حدودٌ مشتركةٌ[١٩] .

فأمّا الكمُّ المنفصلُ فلا ريبَ أنّه لا يُبدِعُ – عن طريق الزيادةِ و النقصان -أيَّ كيفيّةٍ ، إذ لا يوجَدُ أيُّ جسرٍ موصولٍ بينَهُ و بينَ ما قد يُتَصَوَّرُ أن يحدثَ فيه من كيفيّاتٍ ؛ فتزايُدُ كمّيّاتِ الثمارِ على الشجرةِ لا يخلقُ أيّةَ كيفيّةٍ جديدةٍ ذاتِ تأثيرٍ ما. أمّا الكمُّ المتّصلُ فلا ريبَ أنّ الكيفيّةَ من عوارضِهِ الملازمةِ له ، و هذه الكيفيّةُ قد تنتهي أخيراً بقفزةٍ تنتقلُ بسببِها من نوعٍ إلى آخَرَ ، أو لا تنتهي بأيّةِ قفزةٍ . فالحجارةُ تتراكمُ في مجرى النهرِ قد تتحوّلُ إذا اتّحَدَتْ في كتلةٍ واحدةٍ حدٍّ ، و لكنّها قد تقفُ عندَ حدودِ كيفيّاتٍ بسيطةٍ لا تَحوُّلَ فيها . و الماءُ الذي تزدادُ درجةُ حرارتِهِ شيئاً فشيئاً يستتبعُ كيفيّاتٍ متدرّجةً تظهرُ فيه ، و لكنّه يبدأ بالتحوّلِ إلى بخارٍ إذا تجاوزَتْ حرارتُهُ مئةَ درجةٍ مئويّةٍ . فالقولُ بأنَ الكمّ يتحوّلُ إلى كيفٍ ، صحيحٌ إذا كانَ كمّاً متّصلاً[٢٠] .

أمّا تحليلُ الماركسيّينَ للنقلةِ الثالثةِ المُسَمّاةِ بنفي النفي فمأخوذٌ من تصوُّرِ هيغل الذي يرجعُ إليه إبداعُ النقلاتِ الثلاثِ لحركةِ الديالكتيكِ. أنّ الأخيرَ وقى نفسَهُ بما يردُّ عنه سهامَ النقدِ عندما جعلَ ينبوعَ (الأطروحة)هو الوجودَ الذهنيَّ ، أي الوعي ، ثمّ مدّ من أعماقِ هذا الوجودِ أسباباً لتطويرِ الأُطروحةِ في مرحلَتَي النفي ، و نفي النفي . فهيغل – بذلك – يُرضي من تسليلُ عن الدافعِ الغائيِّ الذي يسوقُ من خلالِهِ الدفعُ الديالكتيكيُّ الأشياءَ في طريقِ التصاعدِ اللولبيِّ للرقيِّ بها إلى واقعٍ أفضلَ و هكذا ؛ إذ يُجيبُ بأنّ المسؤولَ عن ذلك هو الوعيُ أو الوجودُ الذهنيُّ ، فما دامَ المحورُ الذي تنطلقُ منه حركةُ التطوّرِ تصاعديّاً ثمّ تدورُ حولَهُ هو الوعيَ الإنسانيَّ ، فطبيعيٌّ أن يسوقَ الوعيُ الأشياءَ إلى أوضاعٍ أفضلَ ما أَمكنَهُ ذلك .

و لكن بمَ يُجيبُ عن هذا السؤال نفسِهِ وَرَثةُ هذا التصوّرِ من الماركسيّينَ و قد أخرجوا هذه الحركة من نطاق الوعي و الذهن و جعلوها تبدأ من المادّةِ و تنتهي بها ؟ إنّ جميعَ أقطابِ المادّيّةِ الجدليّةِ يُنكرونَ العلّةَ الغائيّةَ في الطبيعةِ و حركتها أيَّما إنكارٍ ، و لكنّهم يذهبونَ في ربطِ حركاتِ المادّةِ و تطوّرها بالغايةِ مذهباً يُقيمونَها فيه مقامَ الوعي الإنسانيِّ في أرقى نشاطاتِهِ[٢١].

مناقشةُ تفسيرِ نشوءِ الأضدادِ على وَفقِ قوانينِ الديالكتيك الثلاثة :

ذكَرَ الأستاذ الدكتور محمّد حسين آل ياسين أنّ لفظةَ (الجَوْن) ((حينَ أطلقها المتكلمُ على الأَسْوَدِ في أوّلِ الأمر ، كانَ ذلك بدايةً لصراعِ النقيضَيْنِ المتّحدَيْن في وعي هذا المتكلم بفعلِ عاملَي الوحدةِ اللذَينِ هما : ان كلا منهما علة وجودِ الثاني ، و ان كلا منهما ينزع إلى ان يتحوّل إلى نقيضِهِ ، و هي وحدة موجودة لاشعوريا في ذهن المتكلم كما أشرْنا إلى هذه الناحيةِ

عندَ كلامنا على تصاحبِ أو تداعي المعاني المتضادّةِ في الذهن - ... فالنقيضان موجودان في وعي الإنسان ابتداءً)) (٢٢) .

و يستوقفُ المتأمِّلَ لهذه الفقرةِ أمرانِ ، أحدهمأنّ الأستاذ الدكتور آل ياسين صرّحَ بأنّ اتحادَ النقيضَيْن في مثال (الجَوْن) إنّما هو في وعي المتكلم ، فالوعيُ – إذن – هو مسرحُ الصراع الحاصل بينَهما بفعل طولِ التجاورِ و استدعاءِ كلٍّ منهما صاحبَهُ و جَعْلُ وعي الإنسان و ذهنِه مسرحَ الوحدةِ و الصراع بينَ النقيضَيْن يبدو موافقًا لمنطق العقل و الواقع معًا ؛ إذ لا يُعقَل حدوثُ شيءٍ من ذلك من غير تدخُّلٍ خارجيٍّ واعٍ ، و هذا ما أكّدَتْهُ الديالكتيكيّة المثاليّة على لسان هيغل كما سبقَ تفصيلُ القول في ذلك .أمّا الجدليّةُ المادّيّةُ الماركسيّةُ التي أقامَتْ فلسفتَها على اساس معاندة سابقتِها المثاليّةِ نفَتْ نفيًا قاطعًا التدخّلَ الخارجيَّ لأيّة قوّةٍ ، و انكفأتْ على المادّةِ مُعَوِّلةً عليها وحدَها بوصفِها موطنًا للوحدةِ و الصراع بينَ الأضدادِ ، و رأتْ أنّ جدلَ الأُطروحةِ و نفيها و نفي نفيها لا تتمُّ بينَ الفكرِ و المادّةِ كما قرّرَ هيغل ، بل تتمُّ في ضمن المادّةِ ذاتِها دونَ أيِّ عاملٍ خارجيٍّ من فكرٍ أو غيره (٢٣)، و كلّ هذا قد سبَقَ تفصيلُ القول فيه .

و لمّا كانَ قانونُ وحدةِ الأضدادِ و صراعِها بتوصيفاتِه و مَدَياتِه المنصوصِ عليها - مُفْرَزًا من مُفرَزاتِ الديالكتيكيّةِ المادِّيَّةِ سلالةِ المادِّيَّةِ المثاليّةِ ، كانَ القولُ بأنّ مسرحَ الوحدةِ و الصراع بينَ النقيضَيْن هو العقلُ يبدو غيرَ منسجمٍ و مُعطَياتِ هذه النظريّة و ما نَصَّ عليه مؤسسوها .

و الأمرُ الآخَرُ : اننا لا نملك دليلا حقيقيا على ان لفظة (الجَوْن) أُطلِقَ أولاً على السوادِ وحدَهُ ، ثمّ على السوادِ و البياض معًا ، ثمّ على البياض وحدَهُ ، إلاّ ما خمَّنَهُ الأستاذ الدكتور آل ياسين مستندًا إلى أنّ الشواهدَ التي تشيرُ إلى إطلاق لفظةِ (الجون)على السوادِ وحدَهُ جاهليّةٌ في غالبِها ، في حين أنّ شواهدَ إطلاقِها على البياض وحدَهَ متاخرة عنها زمنيا (٢٤) .

و الملاحَظ أنّ الأستاذ الدكتور آل ياسين لم يتعرّضْ هنا لزمن إطلاق لفظةِ (الجون) على ما فيه سوادٌ و بياضٌ ، غيرَ أنّه ذكرَ في موطنٍ آخَرَ من كتابِه أنّ اللفظة كانت تعني في اللغات السالفةِ مطلقًا ، ثمّ كثرَ استعمالُها في العربيّةِ منصوفةً إلى الأبيضِ و الأسْودِ ، فيكونُ تخصيصُ دلالةِ (الجَوْن) في العربيّةِ قد مرَّ بمرحلتين ، الأُولى انتقلتْ فيها الدلالةُ من معنى اللون المطلق إلى معنًى أخصَّ هو اختلاطُ البياضِ بالسوادِ ، و الثانيةُانتقلتْ فيها الدلالةُ من معنى اختلاط البياضِ بالسَّوادِ إلى معنيَيْن متضادَّيْن ، كلٌّ منهما أخصُّ من معنى اختلاطهما ، هو الأسْودُ و الأبيضُ)) (٢٥) .

و كلامُهُ هنا يشيرُ إلى أنّ دلالةَ اللفظةِ على اختلاط السوادِ و البياض أسبقُ من دلالتها على السوادِ أو البياضِ وحدَهُ ، و هو ما وجَدتُ مصداقَهُ في بعض أبياتِ الشعر الجاهليِّ التي أُطلِقَ فيها (الجَوْن) على حِمار الوحش [٢٦] و يبدو هذا معارضًا للتدرُّج الذي أكَّدَهُ في الفقرةِ السابقةِ ، و الذي يُمكنُ أن نُفيدَ منه في تفسير ظاهرة الأضدادِ اللغويّةِ على ضوءِ مبادئ الديالكتيك .

و بعدَ أن ذكرَ الأستاذ الدكتور آل ياسين ما نقلناهُ آنفًا من أنّ النقيضَيْن موجودانِ في وعي الإنسان ابتداءً ، استطردَ قائلاً : ((قد اختارَ أحدَهما و هو السوادُ ليكونَ معنى (الجَوْن) ، و أطلقَ اللفظةَ على كلِّ أسْوَدَ ، حتّى إذا وصلت درجةُ الصراع إلى المرحلةِ (الكمِّيَّة) المتساويةِ في ذهن الإنسان أطلقها على الأشياءِ التي يتوفَّرُ فيها النقيضان الأسْوَدُ و الأبيضُ بدرجةٍ متساويةٍ .)) [٢٧] .

و قد مرَّ قريبًا التعقيبُ على افتقار التسلسل التأريخيِّ لمراحل إطلاق لفظةِ (الجون) على ما أُطلِقتْ عليه إلى السندِ الدقيقِ الذي يمكنُ الاطمئنانُ إليه .و ينطوي كلامُ الأستاذِ الدكتور في هذه الفقرةِ أيضًا على الإشارةِ إلى مقدِّمةِ القانون الثاني من قوانين الديالكتيك ، و هو قانونُ تحوُّلِ الكمِّ إلى كيفٍ ، و قد عبَّرَ الدكتور هنا بأنّ الصراعَ بينَ النقيضَيْنِ الأسودِ و الأبيض يَصِلُ إلى المرحلةِ الكمِّيَّةِ المتساويةِ في ذهن الإنسان ، فيُطلقُ اللفظةَ على ما فيه اللونان النقيضان بدرجةٍ متساويةٍ في هذا الحديثِ عودةٌ أخرى إلى وعي الإنسان و ذهنِه بوصفِه محرِّكًا أساسيا لعمليةِ التطوّر ، و في هدا مضادة لثابتٍ من توابتِ النظريةِ الماديةِ الديالكتيكيةِ التي لا تؤمنُ بمؤثرٍ من خارجِ حدودِ المادّةِ نفسِها .

و جاءَ بعدَ ذلك قولُ الأستاذِ الدكتور : ((لمّا اشتدّ صراعُهُما حتّى وصلَ إلى النفي (النوعي) بتداعي النقيض في الذهن ، أسرعَت المُخَيِّلةُ إلى استحضاره و إطلاق اللفظةِ عليه ، فكانَ البياضُ هو معنى (الجَوْن)الجديد ، بعدَ أن ماتَ المعنى القديمُ)) [٢٨] .

و يُكمِلُ الأستاذُ الدكتور في هذه الفقرةِ من كلامِه الحديثَ عن القانون الثاني ، فبعدَ أن أشارَ إلى مقدمةِ التطوّر (الكمِّيَّةِ) ، ذكرَ النقطةَ الحاسمةَ في التطوُّرِ ، و هي التغيُّرُ (النوعي) الذي يتمُّ – في رأي الدكتور –بتداعي النقيض في الذهن ، و بإسراع المخَيِّلةِ إلى استحضاره و إطلاق اللفظِ عليه .و في كلِّ هذا التفسيرِ ما يؤكِّدُ سطوةَ الذهن و الوعي في عمليّةِ النفي ، و هو ما ينفيه الماديّون نفيًا قاطعًا ، زيادةً على ما فيه من تكريسٍ لإثباتِ مراحل التطوُّر ممّا لا يَقطعُ به دليلٌ .

و ممّا يُمكنُ أن يُعتَرَضَ به أيضًا على هذا التفسير للأضدادِ اللغويّةِ إغفالُها نصَّ عليه ائمّة التفسير الماديَ الديالكتيكيِّ من انه إذا كانَ التغيرُ الكمّيُّ تطوّرًا تدريجيا ، فإنّ التغيرَ الكيفيَّ

انقلابٌ ثوريٌّ فجائيٌّ يغيِّرُ طابعَ الشيءِ ، فينتقلُ من شيءٍ إلى شيءٍ آخَرَ [٢٩] ؛ فلربّما استطاعَ هذا التفسيرُ تأنيعَ مُطّرِدٍ تتمرُّ به اللفظةُ من تطوُّرٍ تدريجيٍّ ، غيرَ أنّه من الصعبِ أن يُقنِعَنا بالقفزةِ الانقلابيّةِ الثوريّةِ الفُجائيّةِ التي تغيِّرُ طابعَها فتنقلها من شيءٍ إلى شيءٍ آخَرَ مختلفٍ عنها ؛ إنّ ((تاريخَ اللغةِ لا يُحدِّثنا عن تحوُّلاتٍ كيفيّةٍ آنيّةٍ فسيْرُها التاريخيِّ ، و إنّما يعبِّرُ عن تحوُّلاتٍ تدريجيّةٍ في اللغةِ من الناحيةِ الكمِّيَّةِ و الكيفيّةِ .فلو كانت اللغةُ خاضعةً لقانونِ القفزاتِ و تحوُّلِ التغيُّراتِ الكمِّيَّةِ التدريجيّةِ إلى تغيُّرٍ دفعيٍّ حاسمٍ لكُنّا نستطيعُ أن نضعَ أصابعَنا على فاصلةٍ في حياةِ اللغةِ ، تتحوّلُ فيها من شكلٍ إلى شكلٍ نتيجةَ تغيُّراتِ الكمِّيَّةِ البطيئةِ ، هذا ما لا نجدُهُ في كلِّ اللغاتِ التي عاشَها الإنسانُ و استخدَمَها في حياتِه الاجتماعيّةِ)) [٣٠].

ثُمَّ إنَّ هذا التفسيرَ يتجاوزُ ما أكّدَهُ منظِّرو المادِّيَّةِ الديالكتيكيّةِ ، و هو أنّ عمليّةَ النفي لا تسيرُ سَيراً مستقيماً مطّرِداً ، أي بدفعٍ ميكانيكيٍّ ، بل بشكلٍ دائريٍّ ، بحيثُ يرتدُّ نفيُ النفي إلى أُطروحتِه الأُولى و لكن بشكلٍ أغنى و أفضل ، و عندَ كلِّ دفعٍ ديالكتيكيٍّ تتكاملُ دائرةٌ أخرى أعلى من مستوى الدائرةِ التي كانت قد تمَّتْ قبلَها ، فهي دائرةٌ لولبيّةٌ متصاعدةٌ مستمرَّةٌ [٣١] . و واضحٌ أنّ من الصعبِ إثباتَ غِنَى و أفضليّةٍ لما يَنتجُ من ارتدادِ نفي النفي المتعلّق بلفظةِ (الجَوْن) إلى أُطروحتِها الأُولى ؛ إذ إنّ الأمرَ يَؤُولُ بنا إلى فكرةِ السوادِ نفسِها التي بدأنا منها [٣٢]، و لم يكن ثمَّة تكاملٌ لدائرةٍ أخرى هي أعلى من مستوى الدائرةِ التي كانت قد تمَّتْ قبلها ، فهي أبعدُ ما تكونُ عن وصفِ الحركةِ الدائريَّةِ اللولبيّةِ المتصاعدةِ ، و أقربُ ما تكونُ إلى وصفِ الحركةِ اللارتيبيَّةِ المستقرّةِ على نماذجَ نمطيّةٍ متكرِّرةٍ .

يبدو لي أنّ أقربَ توصيفٍ لتفسيرِ الأستاذِ الدكتور محمّد حسين آل ياسين هو أنّه تلفيقٌ مُبتَكَرٌ بينَ ثلاثةِ اتّجاهاتٍ ؛ اثنان منها يتعلّقانِ بالتفسيرِ الديالكتيكيِّ بشِقَّيْهِ المثاليِّ و المادّيِّ ، و ثالثُها هو ما يُمكِنُ تسميتُهُ (تداعي النقيض في الذِّهن) [٣٣] الذي كانَ الأستاذُ الدكتور قد أشارَ إليه في موضعٍ آخَرَ من كتابِه بوصفِه أحدَ التفاسيرِ المُعتمَدَةِ لنشوءِ الأضدادِ اللغويّةِ [٣٤].

هوامشُ البَحث

١. يُنظر : **مقال (الأضداد في اللغة)** للدكتور حسين محمّد : **٣٣**.
٢. **الأضداد : ٧٩-٨٣** . و يُنظر : **(الأضداد في كلام العرب)** لأبي الطيّب اللغويّ : **٢٨٦**.
٣. اقترح الشيخ عبد الله العلايليّ في كتابه (أين الخطأ – تصحيح مفاهيم و نظرة تجديد) : ٣٦ ، **مصطلح (الديالية) مقابل مصطلح** (الديالكتيكيّة) **المعروف بـ** (الجدليّة) . و الديالية مصدرٌ من (دالَ **يدولُ ودوالاً)** معلومٌ أنّ الواو المسبوقة بكسرةٍ كثيراً ما تنقلبُ ياءً ، فيصبحُ المصدر (دِيالاً) ، **و بالنسبة** المصدريّة يقال : الديالية . و هي أصدق دلالةً من مصطلح (الجدليّة) ، غيرَ أنّي سرتُ في بحثي هذا على ما شاعَ عند أصحاب المذهب من مصطلح ، و إن كنتُ أجدُ في نفسي ميلاً شديداً إلى كلام العلايليّ .
٤. يُنظر : (**الأضداد في اللغة**) لمحمّد حسين آل ياسين : **٢٣٦-٢٣٨ ، و** : (التضادّ في القرآن الكريم بين النظريّة و التطبيق) لمحمّد نور الدين المنجد : **٨٠-٨١**.
٥. يُنظر : (الفكر المادّيّ الحديث و موقف الإسلام منه) **للدكتور محمود عتمان : ٢٥٣**.
٦. يُنظر : (نقض أوهام المادّيّة الجدليّة)للدكتور محمّد سعيد رمضان البوطيّ : **١٧**.
٧. يُنظر : (الإسلام في مواجهة الأيديولجيّات المعاصرة)للدكتور عبد العظيم المطعنيّ : **٢٠**.
٨. يُنظر : نقض أوهام المادّيّة الجدليّة : **١٧**.
٩. يُنظر : الإسلام في مواجهة الأيديولجيّات المعاصرة : **١٩٤-١٩٥ ، و** : نقض أوهام المادّيّة الجدليّة : **٢٦ ، و** : (المتنبّي و صراعاته – دراسة أسلوبيّة نفسيّة) للدكتور بكري شيخ أمين : **٨٢**.
١٠. يُنظر : الإسلام في مواجهة الأيديولجيّات **المعاصرة : ١٩٦**.
١١. يُنظر : نقض أوهام المادّيّة الجدليّة : **٣٠**.
١٢. يُنظر : المصدر نفسه : **٣٠**.
١٣. يُنظر : المصدر نفسه : **٣١**.
١٤. يُنظر :الفكر المادّيّ الحديث و موقف الإسلام منه : **٢٥٧**.
١٥. يُنظر : المصدر نفسه : **٢٥٨** .
١٦. يُنظر : نقض أوهام المادّيّة الجدليّة : **٣٧**.
١٧. يُنظر : **(فلسفتنا)لمحمّد باقر الصدر : ٢٢٠-٢٢١**.
١٨. يُنظر : المصدر نفسه : **٢٢١**.
١٩. يُنظر : نقض أوهام المادّيّة الجدليّة : **٦٧-٦٨**.
٢٠. يُنظر : المصدر نفسه : **٦٧-٧٠**.
٢١. يُنظر : المصدر نفسه : **٧٤-٧٦**.
٢٢. **(الأضداد في اللغة)** لمحمّد حسين آل ياسين : **٢٣٨**.
٢٣. يُنظر : نقض أوهام المادّيّة الجدليّة : **٣١**.
٢٤. يُنظر : **(الأضداد في اللغة)** لمحمّد حسين آل ياسين : **٢٣٩**.
٢٥. المصدر نفسه : **١٤٣**.
٢٦. يُنظر : **(الأضداد في كلام العرب)** لأبي الطيّب اللغويّ : **١١٥-١١٨**.
٢٧. **(الأضداد في اللغة)** لمحمّد حسين آل ياسين : **٢٣٨**.
٢٨. المصدر نفسه : **٢٣٨**.
٢٩. يُنظر :الفكر المادّيّ الحديث و موقف الإسلام منه : **٢٥٨** .
٣٠. **فلسفتنا : ٢٤٥**.
٣١. يُنظر : نقض أوهام المادّيّة الجدليّة : **٣٧**.
٣٢. و لا يمكنُ أن نعدّ ما وردَ في بعض المصادر من انصراف **(الجَوْن)** إلى الحُمرة أو الخَضرة ارتقاءً باللون إلى ما هو أفضل ؛ إذ ما وجه أفضليّة هذين اللونين على اللون الأسود ؟ .
٣٣. تقوم فلسفة التداعي الذهنيّ للنقيض على أساس دخول (التضادّ) في صميم التغيّرات التي تحدث للأفراد على صعيد اللاشعور ؛ إذ إنّ رؤية الشيء أو الحركة – على وفق هذه النظريّة – قد تستدعي في اللحظة ذاتها ضدَّه أو ضدَّها. و هذا ما يفسِّرُهُ علم النفس في دراسته تداعيَ الأفكار ؛ فقد جعل لذلك قانونًا بثلاثة بنود ، أوّلها : التداعي بالاقتران ، أي اقتران شيءٍ بشيءٍ ، و ثانيها : التداعي بالتشابه ، أي أنّ فلانًا يشبهُ فلانًا ، و ثالثها : التداعي بالتضادّ ، نحو التضادّ بين الأبيض و الأسود . يُنظر : مقال (الأضداد في اللغة العربيّة) **لنصر** الدين البحرة : **٨-٩**.
٣٤. يُنظر : **الأضداد في اللغة : ١٦٥-١٦٧**.

قائمة المصادر

١. الإسلام في مواجهة الأيديولجيّات المعاصرة ، الدكتور عبد العظيم المطعنيّ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢. الأضداد ، أبو حاتم سهل بن محمّد بن عثمان السجستانيّ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق الدكتور محمّد عودة أبو جري ، مكتبة الثقافة الدينيّة ، القاهرة ، د.ط ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣. الأضداد في كلام العرب ، أبو الطيّب عبد الواحد بن عليّ اللغويّ الحلبيّ (ت ٣٥١هـ) تحقيق الدكتور عزّة حسن ، دار طلاس ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦م.

٤. الأضداد في اللغة ، محمّد حسين آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٥. الأضداد في اللغة ، الدكتور حسين محمّد - مقال في مجلّة اللسان العربيّ - المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربيّ ، الرباط – المملكة المغربيّة ، المجلد العاشر – الجزء الأوّل ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م ، ص ١٣-٣٧ .

٦. الأضداد في اللغة العربيّة ، نصر الدين البحرة –مقالٌ في مجلّة التراث العربيّ - اتّحاد الكُتّاب العرب ، دمشق ، العدد ٧٩ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، السنة العشرون ، ص ٧-٢٢.

٧. أين الخطأ – تصحيح مفهيم و نظرة تجديدٍ ، عبد الله العلايليّ ، دار الجديد ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م.

٨. التضادّ في القرآن الكريم بين النظريّة و التطبيق ، محمّد نور الدين المنجد ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٩. الفكر المادّيّ الحديث و موقف الإسلام منه ، الدكتور محمود عتمان ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .

١٠. فلسفتنا ، السيّد محمّد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١١. المتنبّي و صراعاته –دراسة نفسيّة و اسلوبيّة ، الدكتور بكري شيخ أمين ، الدار السعوديّة، جدّة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٢. نقض أوهام المادِّيَّة الجدليّة ، الدكتور محمّد سعيد رمضان البوطيّ ، دار الفكر ، دمشق، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

Summary of the research

Explanation of the emergence of opposite words According to the law of (the unity of opposites and their conflict) View and criticism

Dr. Keyan Ahmed Hazim Yahya

Arabic Language Department / college of Arts / University of Baghdad

In the name of God the Merciful

Some modern language scholars tried to explain the phenomenon of language opposites , which means that a word means both a meaning and its opposite at the same time . Some of their Explanations are based on data from the ancients , and some are derived from the structures of thought and modern theories .

From this latter category of explanations is the explanation of Prof. Dr. Mohammed Hussein Al-Yasseen, who approached the dialectical vision in explaining the emergence of language opposites ; for he applied the law of the unity of opposites and their conflict for the word (Jawn) , which meant at first black , and that was the beginning of a conflict between the two extremes united in the consciousness of the speaker.

Due to this conflict, the white overcame the black gradually , and the confirmation of that may be that (Jawn) was the the mixture of both the black and the white before the conflict reached to its final form and resulted in the white . But the early scriptures kept the two meanings , and the word (Jawn) became an opposite word .

In order to evaluate this reasoning we should check-up the Marxists dialectic evolution . It exists on three laws which are the secret of its effectiveness . The first is the law of the unity of opposites and their conflict , which means that every thing is inevitably a convergence of two opposites and a conflict must take place between them . This conflict does not destroy the unity of the matter , but it leads to the overcoming of the one that reflects the progress on the other one . And when this shift happens the second law comes ; ie the law of transformation of quantity into quality , which states that the change is at first gradual , but when it increases or decreases to a certain extent qualitative change happens . Then comes the third law , ie the law of negation of negation , which provides for three things : First : continuous change . second: keeping the best characteristics of the old and gaining new characteristics . And Third : moving unsteadily , but in a circular motion, so that it falls back to its first thesis , but in a better form .

the three laws of dialectic are not immune from criticism . the first law can be discussed by stating that human nature can not accept the negative and positive together in the same place and at the same time , for

it feels self-incompatibility between them absolutely . the second law is denied by many philosophers ; because the quantum is divided into two parts , the first is the discrete quantum , which is said to things that do not have common borders , and the other is the connected quantum , which is said to things that have common borders . The discrete quantum creates no new quality . Quality is combined to the connected quantum . This quality may finally end up by a jump that transfers it from one species to another , or may not end with any jump . the third law is unacceptable for we know that all masters of dialectical materialism deny the causes in nature , but they link the movements of matter and its evolution with purpose , a doctrine that put that matter in the place of human consciousness in its most prestigious activities .

As long as the three laws of dialectic can not withstand the criticism the explanation for the emergence of language opposites that rely on it will not be correct .

it is noted that Dr. Al-Yasseen stated that the Union of extremes in Example (Jawn) only exists in the consciousness of the speaker , and we all know that the dialectical materialistic Marxism - which has established its philosophy on the basis of resisting its predecessor the ideal - has categorically denied the outside intervention of any force , and turned inwards material relying on it exclusively as a home for the unity and conflict of opposites.

And because the law of the unity of opposites and their conflict is a result of dialectical materialism it is not a very good idea to say that the conflict between the two extremes exists in the mind .

Moreover, we do not have the proof that the word (Jawn) was first said to the black alone , and then to the black and white together , and then to the white alone . And it is clear as well that it is difficult to prove the advantage of what results from the withdrawal of the negation of negation related to the word (Jawn) to its first thesis ; for this will lead us to the idea of blackness itself , from which we started at first , and there is no higher integration here than what was before .

I think that The closest description for the explanation of Dr. Al-Yasseen is that it is a fabrication of the dialectical explanation , including both its ideal and materialistic branches , and what might be called (collapse of the opposite in the mind), to which Dr. Al-Yasseen had referred elsewhere in his book as one of the explanations adopted concerning the emergence of language opposites .